أولا : تعريف توحيد الأسماء والصفات[1]

توحيد الأسماء والصفات : هو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى الواردة في القرآن والسنة ، والإيمان بمعانيها وأحكامها .

شرح مفردات التعريف :

أولاً : (إفراد الله) :

هذا معنى كلمة "التوحيد"، فأصل هذه الكلمة من "وحد" فيقال: وحد يوحد توحيدًا: أي جعله واحدًا ، ومادة "وحد" في اللغة مدارها على انفراد الشيء.

فإذا قلت : توحيد الله بأسمائه : فالمعنى إفراد الله بأسمائه .

ثانيًا : (بأسمائه الحسنى) :

بأسمائه : الاسم في اللغة : هو اللفظ الموضوع لمعنًى تعيينًا أو تمييزًا ، أو الاسم : ما دل على الذات وما قام بها من الصفات ، ومن أسماء الله تعالى : الله- الرحمن- الرحيم- الغفور- العزيز- السميع- الباري ... .

الحُسنى : هذا وصف لأسماء الله ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .

وتصريفها : على وزن "فُعلى" تأنيث أفعل التَّفضيل ، فحُسْنى تأنيث أحسن ، ومعناها : أي البالغة في الحسن غايته ، والمعنى العام لقوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } : أي لله أحسن الأسماء وأجلها لإنبائها عن أحسن المعاني وأشرفها .

والحكم المستفاد : أنه يجب الإيمان بهذا الوصف الذي أخبر الله به عن أسمائه ، وذلك بالاعتقاد الجازم أن أسماء الله هي أحسن الأسماء وأتمها وأكملها معنى .

ثالثاً : (وصفاته العلى) :

وصفاته : الصفة هي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من أمور ذاتية أو معنوية أو فعلية ، ومن صفات الله عز وجل الذاتية : اليدان- الوجه- العينان- الأصابع ، ومن صفاته سبحانه المعنوية : العلم- القدرة- الحياة- الإرادة ، ومن صفاته جلَّ وعلا الفعلية : النزول- الاستواء- الخلق- الرزق .

العُـلى : هذا الوصف جاء ذكره في نص القرآن العظيم ، وتصريفها : "الأعلى" صيغة أفعل التَّفضيل ، أي أعلى من غيره . قال الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } : أي الكمال المطلق من كل وجه . وقال الشيخ ابن سعدي : { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } أي : هو كل صفة كمال ، وكل كمال في الوجود فالله أحق به من غير أن يستلزم ذلك نقصًا بوجه .

والحكم المستفاد : أنه يجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه ، وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل ما أخبر الله به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من الصفات هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، فهو سبحانه المستحق للكمال المطلق من جميع الوجوه .

---

(١) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، د. محمد التميمي ص ٢٩ .

رابعًا : (الواردة في القرآن والسنة) :

أي يجب الوقوف في أسماء الله وصفاته على ما جاءت به نصوص القرآن والسنة لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه ، فلا نسمي أو نصف الله بما لم يسم أو يصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ .

وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا من طريق واحد هو طريق الخبر- أي الكتاب والسنة- .

قال الإمام أحمد - رحمه الله : (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة) .

وقال ابن عبد البر - رحمه الله : (ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه) .

خامسًا : (والإيمان بمعانيها وأحكامها) :

أي الإيمان بما تضمنته من المعاني وبما ترتب عليها من مقتضيات وأحكام. وهذا ما جاء الأمر به والحث عليه في القرآن والسنة .

فمن القرآن قوله تعالى : { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } والشاهد من الآية قوله سبحانه : "فادعوه بها" ، ووجه الاستشهاد : أن الله يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته ، ويثنوا عليه بها ، ويأخذوا بحظِّهم من عبوديتها .

ومن السنة : قوله ﷺ : (إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحدًا ، من أحصاها دخل الجنة) والشاهد من الحديث قوله ﷺ : "من أحصاها"، ووجه الاستشهاد : أن معنى أحصاها : أي حفظها ألفاظًا ، وفهم معانيها ومدلولاتها ، وعمل بمقتضياتها وأحكامها .

فالعلم بأسماء الله وصفاته واعتقاد تسمي الله واتصافه بها هو من العبادة وإدراك القلب لمعانيها، وما تضمنته من الأحكام والمقتضيات ، واستشعاره وتجاوبه لذلك بالقدر الذي يؤدي إلى سلامة تفكيره واستقامة سلوكه ، هو عبادة أيضًا .

فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه أسماء الله وصفاته من المعاني ، وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام ، بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك وعطلوه .

فأهل السنة يؤمنون بأن كل اسم من أسماء الله يدل على معنى الذي نسميه "الصفة" ، فلذلك كان لزامًا على من يؤمن بأسماء الله تعالى أن يراعي الأمور التالية :

أولاً : الإيمان بثبوت ذلك الاسم لله عز وجل .

ثانيًا : الإيمان بما دل عليه الاسم من المعنى أي "الصفة" .

ثالثاً : الإيمان بما يتعلق به من الآثار والحكم والمقتضى .

وكذلك الشأن في صفات الله عز وجل ، فلابد من الإيمان بمعانيها وأحكامها ، فهذه عقيدة أهل السنة ، بخلاف عقيدة المعطلة الذين نفوا ما دلت عليه تلك الصفات من المعاني ، وتلاعبوا بتلك المعاني فحرَّفوها وبدلوها .

فأهل السنة يرون أنه لزامًا على من أراد إثبات الصفات والإيمان بأنها صفات كمال تثبت لله حقيقة - أن يراعي الأمور التالية :

أولا : إثبات تلك الصفة فلا يعاملها بالنفي والإنكار.

ثانيا : أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به ، بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة ، فلا يعطل الصفة ولا يغير اسمها ويعيرها اسمًا آخر .

ثالثا : عدم تشبيهها بما للمخلوق ، فإن الله سبحانه (ليس كمثله شيء) لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

رابعا : اليأس من إدراك كنهها وكيفياتها ، فالعقل قد يئس من تعرُّف كنه الصفة وكيفيتها ، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله ، وهذا معنى قول أهل السنة : "بلا كيف " : أي بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تُعْلَم حقيقة ذاته وماهيته ؛ كيف تُعْرف كيفية نعوته وصفاته ؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها ، ومعرفة معانيها ، فالكيفية وراء ذلك .

خامسا : تحقيق المقتضى والأثر لتلك الصفات ، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها - أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها - فعلم العبد بتفرد الرب بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ؛ يثمر له عبودية "التوكل" ، وعلم العبد بجلال الله تعالى وعظمته وعزه ؛ يُثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة .

ثانيا : العلاقة بين توحيد الأسماء والصفات وأنواع التوحيد الأخرى[1]

أقسام التوحيد بمجموعها تشكِّل جانب الإيمان بالله الذي نسميه "التوحيد" فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة ، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا ، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر ، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية ، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية ، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته ، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله . (فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته ، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله ، فهما متلازمان) .

وقد أوضح بعضا أهل العلم هذه العلاقة بقوله : (**هي علاقة تلازم وتضمن وشمول**) .

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية .

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية .

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا .

بيان ذلك :

أن من أقر **بتوحيد الربوبية** وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته ؛ لزمه من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى ، لأنه لا يصلح أن يُعْبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا ، وما دام كله لله وحده ؛ وَجَبَ أن يكون هو المعبود وحده .

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية ، ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} .

وأما **توحيد الألوهية** فهو متضمن لتوحيد الربوبية ؛ لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره .

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه ، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يصرف شيئًا منها لغير الله ؛ ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية ، وأنه لا ربَّ ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده .

وأما **توحيد الأسماء والصفات** فهو شامل للنوعين معًا ؛ وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى ، والتي من جملتها : الرب - الخالق - الرازق - الملك ، وهذا هو توحيد الربوبية ، ومن جملتها : الله - الغفور - الرحيم - التواب ، وهذا هو توحيد الألوهية .

---

(١) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، د. محمد التميمي ص ٣٧ .

ثالثا : أهمية توحيد الأسماء والصفات وثمرات الإيمان به[1]

أولاً : هذا التوحيد شطر باب الإيمان بالله تعالى .

لا يخفى على المسلم أهمية الإيمان بالله، فهو أول أركان الإيمان، بل هو أعظمها، فما بقية الأركان إلا تبع له وفرع عنه، وهو أهم ما خلق لها الخلق وأرسلت به الرسل، وأنزلت به الكتب، وأسست عليه الملة، فالإيمان بالله هو أساس كل خير، ومصدر كل هداية، وسبب كل فلاح، ذلك لأن الإنسان لما كان مخلوقًا مربوبًا عاد في علمه وعمله إلى خالقه وباريه فبه يهتدي، وله يعمل، وإليه يصير، فلا غنى له عنه، وانصرافه إلى غيره هو عين هلاكه وفساده، والإنسان له بالله عن كل شيء عوض، وليس لكل شيء عن الله عوض، فليس للعبد صلاح ولا فلاح إلا بمعرفة ربه وعبادته، فإذا حصل له ذلك فهو الغاية المرادة له والتي خلق من أجلها، فما سوى ذلك إما فضل نافع، أو فضول غير نافعة، أو فضول ضارة، ولهذا صارت دعوة الرسل لأممهم إلى الإيمان بالله وعبادته، فكل رسول يبدأ دعوته بذلك كما يعلم من تتبع دعوات الرسل في القرآن .

وملاك السعادة والنجاة والفوز يكون بتحقيق التوحيدين اللذين عليهما يقوم الإيمان بالله تعالى، وبتحقيقهما بعث الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ، وإليه دعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ممن أولهم إلى آخرهم.

وأحدهما : التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي المتضمن إثبات صفات الكمال لله تعالى، وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل، وتنزيهه عن صفات النقص.

والتوحيد الثاني : عبادته وحده لا شريك له، وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه، والرضا به ربا وإلها ووليا، وأن لا يجعل له عدلاً في شيء من الأشياء .

ثانيا : توحيد الأسماء والصفات أشرف العلوم وأهمها على الإطلاق .

إن شرف العلم تابع لشرف معلومه، لوثوق النفس بأدلة وجوده وبراهينه ولشدة الحاجة إلى معرفته وعظم النفع بها .

ولا ريب أن أجلَّ معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السموات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله ، فلا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات .

ثالثا : توحيد الأسماء والصفات هو أصل العلوم الدينية .

كما أن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها فهو أصلها كلها، فكل علم هو تابع للعلم به، مفتقر في تحقق ذاته إليه، فالعلم به أصل كل علم ومنشؤه، فمن عرف الله عرف ما سواه،

---

(١) انظر : معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، د. محمد التميمي ص ١١ .

ومن جهل ربه فهو لما سواه أجهل، قال تعالى : { وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ } ، فتأمل هذه الآية تجد تحتها معنى شريفًا عظيمًا، وهو: أن من نسي ربه أنساه ذاته ونفسه فلم يعرف حقيقته ولا مصالحه، بل نسي ما به صلاحه وفلاحه في معاشه ومعاده، لأنه خرج عن فطرته التي خلق عليها فنسي ربه فأنساه نفسه وصفاتها وما تكمل به وتزكو به وتسعد به في معاشها ومعادها، قال تعالى : { وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً } ، فغفل عن ذكر ربه فانفرط عليه أمره وقلبه ، فلا التفات له إلى مصالحه ، وكماله وما تزكو به نفسه وقلبه ، بل هو مشتت القلب مضيعه ، مفرط الأمر حيران لا يهتدي سبيلاً .

فالعلم بالله أصل كل علم، وهو أصل علم العبد بسعادته وكماله ومصالح دنياه وآخرته، والجهل به مستلزم للجهل بنفسه ومصالحها وكمالها وما تزكو به وتفلح به، فالعلم به سعادة العبد والجهل به أصل شقاوته .

۞ رابعًا : معرفة أسماء الله وصفاته أصل عظيم في منهج السلف .

معرفة أسماء الله وصفاته هي الأساس الذي ينبني عليه عمل العبد، ومن خلالها تتحدد العلاقة التي تربط العبد بربه، وعلى ضوئها يعبد المسلم ربه ويتقرب إليه .

ولذلك كان أصل علم السلف وعملهم هو :

١- العلم بالله . ٢- والعمل لله .

فجمعوا بذلك بين التصديق العلمي والعمل الحبي .

ثم إن تصديقهم عن علم، وعملهم وحبهم عن علم، فسلموا بذلك من آفات منحرفة المتكلمة والمتصوفة .

وبذلك حقَّقوا القول التصديقي المعتمد على معرفة أسماء الله وصفاته وأفعاله الواردة في الكتاب والسنة ، والعمل الإرادي وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي وفق ما شرعه الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، ولذلك كان كلامهم وعملهم باطنًا وظاهرا بعلم، وكان كل واحد من قولهم وعملهم مقرونًا بالآخر وهؤلاء هم المسلمون حقًّا .

۞ خامسًا : العلم بأسماء الله وصفاته يفتح للعبد باب معرفة الله .

إن محبة الشيء فرع عن الشعور به، وأعرف الخلق بالله أشدهم حبا له، وكل من عرف الله أحبه، ولا سبيل للحصول على هذه المعرفة إلا من باب العلم بأسماء الله وصفاته، فلا تستقر للعبد قدم في معرفة الله إلا بالتعرف على أسمائه وصفاته الواردة في القرآن والسنة، فالعلم بأسماء الله وصفاته يفتح للعبد هذا الباب العظيم، فالله عز وجل لم يجعل السبيل إلى معرفته من طريق الاطلاع على ذاته، فهذا الباب موصود إلى قيام الساعة، كما أخبرنا بذلك نبينا محمد ﷺ حيث قال : (تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربة عز وجل حتى يموت) .

وكذلك فإن من المحال أن تستقل العقول البشرية بمعرفة ذلك وإدراكه على وجه التفصيل، فهي عاجزة عن ذلك لكونه من المغيبات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الوحي، والله عز وجل يقول : { وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً } فهذه الآية تبين محدودية علم الإنسان .

۞ سادسًا : أساس العلم الصحيح هو الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته .

على أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح والتوحيد الخالص، وتنبني مطالب الرسالة جميعها، فهذا التوحيد هو أساس الهداية والإيمان وهو أصل الدين الذي يقوم عليه .

ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان، وهي مهمة جدا للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه وصلاح معتقده واستقامة عمله، فهذه المعرفة لأسماء الله وصفاته وأفعاله توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك والإقرار والتعطيل، وتنزيه الرب عما لا يليق به ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام.

وذلك يتم بتدبر كلام الله تعالى وما تعرف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله - عليهم السلام - من أسمائه وصفاته وأفعاله وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه .

والعلم بالله يراد به في الأصل نوعان :

أحدهما : العلم به نفسه سبحانه ، أي بما هو متصف به من نعوت الجلال والإكرام وما دلت عليه أسماؤه الحسنى .

وهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فإنه لابد أن يعلم أن الله يثيب على طاعته، ويعاقب على معصيته.

والنوع الثاني : يراد بالعلم بالله ؛ العلم بالأحكام الشرعية من الأوامر والنواهي ، والحلال والحرام .

۞ سابعًا : العلم بأسماء الله وصفاته هو حياة القلوب .

فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور ولا أمان ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها ويكون أحب إليها مما سواه، والإنسان بدون الإيمان بالله لا يمكنه أن ينال معرفة ولا هداية، وبدون اهتدائه إلى ربه لا يكون إلا شقيا معذبا كما هو حال الكافرين .

فالله تبارك خلق هذا الإنسان وركبه من الجسد والروح وشاء أن يكون خلق الجسد من التراب، قال تعالى : { فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَاب } ، وجعل قوام الجسد وحياته من التراب، فهو يأكل ويشرب ويكتسي من الأرض وما فيها، وجعل في هذا الجسد الروح، قال تعالى : { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي } ، وشاء أن يكون قوام هذه الروح وحياتها في معرفة الله وعبادته ، فلا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته .

لذلك فإن من في قلبه أدنى حياة أو محبة لربه وإرادة لوجهه وشوق إلى لقائه، فطلبه لهذا الباب وحرصه على معرفته وازدياده من التبصر فيه، وسؤاله واستكشافه عنه هو أكبر مقاصده وأعظم مطالبه وأجل غاياته، فهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه، وله خلق الخلق، ولأجله نزل الوحي، وأرسلت الرسل وقامت السموات والأرض، ووجدت الجنة والنار، ولأجله شرعت الشرائع، وأسست الملة، ونصبت القبلة، وهو قطب رحى الخلق والأمر الذي مدارهما عليه .

۞ ثامنًا : ثمرة معرفة أسماء الله وصفاته .

مما يدلل ويؤكد أهمية هذا التوحيد هو ما تثمره معرفة أسماء الله وصفاته في قلب المؤمن من زيادة في الإيمان ورسوخ في اليقين، وما تجلبه له من النور والبصيرة التي تحصنه من الشبهات المضللة، والشهوات المحرمة .

فهذا العلم إذا رسخ في القلب أوجب خشية الله لا محالة، فلكل اسم من أسماء الله تأثير معين في القلب والسلوك، فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه .

ولكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، فالأسماء الحسنى والصفات العلى مقتضية لآثارها من العبودية ، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح .

فمثلاً : علم العبد بتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة ؛ يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا، ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا .

وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، وأنه يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطنًا، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح .

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه. وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه، تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي موجباتها .

وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلى يوجب له محبة خاصة بمنزلة أنواع العبودية . فرجعت العبودية كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات وارتبطت بها .

وبهذا يتبين أن معرفة العبد لأسماء الله وصفاته على الوجه الذي أخبر الله عز وجل به في كتابه وسنة رسوله ﷺ توجب على العبد القيام بعبودية الله على الوجه الأكمل، فكلما كان الإيمان بالصفات أكمل كان الحب والإخلاص والتعبد أقوى، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر، إذ كل اسم من أسمائه عز وجل له تعبد مختص به، علما ومعرفة وحالاً .

۞ تاسعًا : ضرورة تجنب الباطل وعدم مخالفة طريق الحق في هذا الباب .

يعتبر باب الأسماء والصفات من أكثر الأبواب خطورة ومزلة من جهة كونه محل خلافات شديدة ومعقدة دارت رحاها بين علماء السلف من جهة والفلاسفة وأهل الكلام والمشبهة من جهة أخرى.

فمن واجب طالب العلم أن يتعمق في فهم الحق المبني على الكتاب والسنة، قال تعالى : { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} ، فالرد إلى الله يكون بالرد إلى كتابه ، والرد إلى الرسول بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته ﷺ ، وقد قال تعالى : { أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّه } ، فالله أعلم بنفسه ، وهو الذي أخبر بأسمائه وصفاته في

كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ ، وكذلك فإن النبي ﷺ أعلم الناس بربه وأصدقهم خبرًا ، وقد قال الله في حقه : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } .

فمن الواجب على المسلم أن يدرس هذا الباب ويتعمق في فهمه وفق ما ورد في الكتاب والسنة، وأن يحذر من التيارات الفلسفية التي أضرت أصحابها وأدخلتهم في دوامة الانحراف والضياع، فحالت بين قلوبهم وبين معرفة ربهم، فأصبحت قلوبهم مظلمة جاهلة بحقائق الإيمان، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته والثناء عليه بأوصاف كماله، ونعوت جلاله، فانصرفت قوى حبهم وشوقهم وأنسهم إلى سواه.

ومعلوم أنه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة، بل ولا في الإيمان، حتى يؤمن بأسماء وصفات الرب ﷻ، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه، فالإيمان بالأسماء والصفات وتعرفها هو أساس الإسلام وقاعدة الإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فمن جحدها فقد هدم أساس الإسلام والإيمان، وثمرة شجرة الإحسان، فضلاً عن أن يكون من أهل العرفان .

فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه، في معرفة الأسماء والصفات، وأن تكون معرفته سالمة من داء التعطيل وداء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول ﷺ، فالمعرفة الصحيحة هي المتلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فهذه هي المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة أحواله .